

تعزير المحبة ونبذ ظاهرة العنف



العنف ظاهرة شائعة في كثير من المجتمعات، إذ أصبحت مشكلة تؤرق الجميع، يتطلب الأمر الاهتمام بها.. فالعنف ضد الرفق، كما أن الرفق ضد العنف، وهو لين الجانب ولطافة القول والفعل.. فالفظاظة والخشونة والغلظة والقساوة في الطبع والقول والمعاملة والفعل هي صفات الإنسان العنيف. ومن الضروري أن نطل على نظرة الإسلام لمفهوم العنف والرفق لنحدد موقعهما في الحياة وفق الرؤية الإسلامية، وغير خفي أن الرفق قيمة كبرى يريدنا الإسلام أن نحملها في قلوبنا ونجسدها على أرض الواقع، يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الرفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، وقال أيضاً: «الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شانه». ولن يستطيع الإنسان بلوغ غاياته بدون انتهاج سبيل الرفق، وهل انتشر الإسلام إلا بثقافة الرفق ولغة المحبة، وهل دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلوب الناس لو لم يكن رحمة شاملة ومهداة لهم جميعاً.

لننشر ثقافة الرحمة، ونبرهن على أن الرفق ليس مجرد قيمة متسامية وشعار عريض نزيه به ساحاتنا، بل إنّه سلوك ومنهج حياة ينبغي أن يحكم كل مرافق الحياة ومختلف الدوائر الإنسانية العامة والخاصة، وأنّه من جهة أخرى محمي بتشريعات قوانين تكفل تطبيقه وتمنع تجاوزه، آن الأوان لننقذ الرحمة نفسها من نصال العنف وأنبياه المتوحشة، لأنّ الضحية الكبرى لمنطق العنف هو غياب قيمة الرحمة نفسها وتلاشيها.. إنّ العلاقات الإنسانية برمتها لا بد أن تتحرّك على أساس الرفق لا العنف، فالعلاقة بين المرء وزوجته كمثال عمادها المحبة والرحمة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم/ 21)، وكذلك العلاقة بين الولد والديه (وَإِخْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (الإسراء/ 24). ولو خرجنا من دائرة الأسرة إلى دائرة الأرحام والجيران والإخوان، سنجد الدعوة واضحة إلى أن يكون الرفق منهج حياتنا، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، وقد وصف الله المؤمنين بأنهم (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرَاءِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح/ 29). والحاكم المسؤول لا بد أن ينتهج أسلوب الرفق مع الأمة (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران/ 159). ولا بد أن تمتد حبال المودة

وسياسة الرفق إلى الآخر الذي يختلف معك في الدين، قال تعالى: (لَا يَنْهَـكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة/ 8).

كما في القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة في تحريم الظلم بذكر اسمه والذي يكون سبب مباشر للعنف، وآيات كثيرة في تحريم الظلم بصورة غير مباشرة وذلك بالأمر بالعدل لأنَّ الأمر بالعدل نهي عن الظلم فمن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِ بِٱلْعَدْلِ) (النحل/ 90)، هكذا أمراً مطلقاً بالعدل بكلِّ ما هو عدل ولكلِّ إنسان فلا يجوز ظلمه ولو كان كافراً أو ظالماً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ۚ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِٱلْقِسْطِ وَ لَآ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاـَٔنُ قَوْمٍ ۖ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ ٱتَّعَدُواْ ٱلْعَدْلَ ۚ وَ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) (المائدة/ 8)، ومعنى شَنَاـَٔنُ قوم أي بغض قوم وهم الكفار.

ختاماً، يجب تعزيز ثقافة التسامح ونشر رسالة المحبة والتأكيد على احترام الآخر في نفسه وماله وعرضه، ورعاية حقوقه وحفظ إنسانيته وكف الأذى عنه ما دام لا يتحرَّك بالظلم والعدوان. وإنَّ كلَّ أنواع العنف حرَّماً الإسلام، فهو عنف سلبي هدام. أمَّا العنف المشروع فهو عنف الدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن. قال تعالى: (وَٱلْعَدُوَّ ٱلَّذِينَ ٱلَّهْمُ مِّمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَ مِّن رِّبَاطٍ ٱلْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ ۚ عَدُوِّ ٱللَّهِ وَ عَدُوِّكُمْ) (الأنفال/ 60)، وقوله تعالى: (وَ قَاتِلُوهُمْ ۖ حَتَّىٰ لَا تَكُونِ فِتْنَةٌ وَ يَكُونِ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) (الأنفال/ 39).